

رؤية شي جين بينغ الثقافية

عندما كان يعمل في محافظة تشنغدينغ بمقاطعة خبي شمالي الصين خلال ثمانينيات القرن الماضي، قال شي جين بينغ ذات مرة "إن الشخص الذي يحب أرض الصين الشاسعة سيعتز بالتأكيد بكل جدول من جداولها، وبكل شبر من أرضها، وبكل صفحة من تاريخها المجيد". وبعد عقود، وبينما يقود دفة سفينة الصين العظيمة وسط الأمواج، أعلن شي، الأمين العام للجنة الحزب المركزية، بفخر "إن الثقافة التقليدية الرائعة التي أبدعتها الأمة الصينية وطورتها عبر آلاف السنين من تاريخها هي جذر الأمة الصينية وروحها".

وبثقة ثقافية راسخة، يقود شي الشعب الصيني على الطريق نحو تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية.

الخصائص الصينية تنبع من حضارة عريقة

في يوليو عام ٢٠٠٣، قام شي، الذي كان آنذاك أمين لجنة الحزب في مقاطعة تشجيانغ بشرقي الصين، بزيارة إلى موقع الآثار في ليانغتشو.

وفي غرفة اجتماع صغيرة داخل متحف ليانغتشو، شاهد شي فيلما وثائقيا حول عملية حماية ثقافة ليانغتشو واستمع إلى شرح موجز حولها.

في ذلك الوقت، كانت ليانغتشو تواجه تعارضا بين متطلبات الحماية والتنمية. وكان هناك أكثر من ٣٠ موقعا للتعدين في المنطقة، الأمر الذي تسبب في كميات كبيرة من الغبار والتلوث الضوضائي، لدرجة أن أحد علماء الآثار وصف المكان بأنه "يشبه ساحة معركة تتردد فيها أصوات إطلاق النار المدوية".

قال شي إن "موقع ليانغتشو الأثري يقف شاهدا على وجود الحضارة الصينية الممتدة

لخمسة آلاف عام، ويُعد كنزا نادرا لا يقدر بثمن، ويجب علينا حمايته جيدا".

وبفضل جهود الحماية هذه، استعادت جبال هذه المنطقة هدوءها وخضرتها الطبيعية.

في عام ٢٠١٦، كتب أربعة من علماء الآثار رسالة إلى شي أعربوا فيها عن أملهم في إدراج موقع ليانغتشو الأثري على قائمة التراث العالمي لليونسكو في أقرب وقت ممكن. وأصدر شي تعليمات، شدد فيها مرة أخرى على أهمية الحماية الفعالة والتنقيب المنهجي عن مواقع الآثار القديمة، داعيا إلى تعميق فهم التاريخ الطويل والقيمة العظيمة للحضارة الصينية.

وبعد ثلاث سنوات، أُدرج موقع مدينة ليانغتشو الأثري على قائمة التراث العالمي لليونسكو. وباعتباره الدليل الأكثر مباشرة وإقناعا على حضارة الصين الممتدة لأكثر من خمسة آلاف عام، حظي هذا الموقع منذ ذلك الحين باعتراف دولي أوسع.

"من أين أتينا؟ وإلى أين نمضي؟ عندما تقف الصين في المكانة التي بلغتها اليوم، أذكر نفسي دائما بضرورة الحفاظ على هذا المنظور التاريخي". فمند المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، قاد شي الشعب الصيني على الطريق نحو تحقيق النهضة الوطنية بثقة ووعي ثقافيين راسخين.

في نوفمبر عام ٢٠١٣، وخلال جولة تفقدية بمعبد كونفوشيوس ومعهد كونفوشيوس البحثي الصيني في مدينة تشويفو بمقاطعة شاندونغ شرقي الصين، التقط شي كتابين باهتمام كبير وهما «الشروح الشاملة لأقوال كونفوشيوس عن الأسرة» و«تفسيرات كتاب الحوار (لون يوي)»، وقال "سأقرأ هذين الكتابين بجدية". وفي ٢٤ سبتمبر ٢٠١٤، حضر شي ندوة دولية في قاعة الشعب الكبرى في بكين بمناسبة الذكرى الـ ٢٥٦٥ لميلاد كونفوشيوس. ورحب في كلمته بالضيوف الدوليين مستشهدا بالعبارة الافتتاحية من كتاب الحوار (لون يوي) قائلا "أليس من دواعي السرور أن يأتيك أصدقاء من أماكن بعيدة؟"

في مارس عام ٢٠٢١، وخلال زيارته لحديقة تشوشي التذكارية في مقاطعة فوجيان شرقي الصين، توقف شي أمام كلمات لهذا الفيلسوف الكونفوشيوسي الصيني الشهير، الذي عاش في القرن الثاني عشر، قال فيها إن "الشعب هو أساس الدولة، وهو أيضا الغاية من حكم الدولة".

وأشار شي إلى أنه "بدون الحضارة الصينية الممتدة لخمس آلاف عام، من أين كانت ستأتي خصائصنا الصينية؟ وبدون هذه الخصائص الفريدة، كيف يمكننا اليوم المضي قدما على الطريق

الناجح للاشتراك ذات الخصائص الصينية؟"

دعا الرئيس الصيني إلى إيلاء اهتمام خاص لعملية استخلاص جوهر الثقافة التقليدية الرائعة ودمجها مع الموقف والمنظور والمنهج الماركسي، والمضي قدما بثبات على طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية.

إن الثقة في "المضي قدما على طريقنا الخاص" تنبع من الحيوية الدائمة للحضارة الصينية. فقد قال شي إن "الشيوعيين الصينيين هم دائما الورثة والمروجين الأوفياء للثقافة الصينية التقليدية الرائعة".

ولا تزال عالمة الآثار فان جين شي تتذكر المرة الأولى التي صافحت فيها شي في أبريل عام ٢٠١٣.

قال شي عند تحيته لها في لقاء عقد لتكريم النماذج الوطنية "أنت خبيرة في دراسات دونهوانغ".

فوجئت فان جين شي بذلك، حيث قالت "في ضوء العدد الهائل من السكان والمسؤوليات العامة في البلاد، فمن المثير للإعجاب حقا أن الأمين العام كان يعلم أنني باحثة في دراسات دونهوانغ".

وأشار شي إلى أن ثقافة دونهوانغ تظهر ثقة الأمة الصينية بثقافتها، قائلا "فقط الحضارة الواثقة يمكنها أن تحتضن إنجازات الحضارات الأخرى وتستفيد منها وتستوعبها، مع الحفاظ على خصائصها الوطنية".

وتنبع هذه الثقة من رؤية واسعة الأفق تحترم تنوع الحضارات في العالم. إن "الحساء اللذيذ يُصنع من مزيج من مكونات مختلفة". فمن وجهة نظر شي، تصبح الحضارات أكثر ثراء وتنوعا من خلال التبادل والتعلم المتبادل.

ويرى أن تنوع الحضارات لا ينبغي أن يكون مصدرا للصراع العالمي، بل ينبغي أن يكون محركا يدفع حضارات البشرية إلى التقدم.

موقف إزاء شؤون التاريخ والثقافة

قبيل حلول عيد الربيع عام ٢٠٢٢، قام شي بزيارة لمدينة بينغياو القديمة، وهي بلدة يعود تاريخها إلى أكثر من ٢٨٠٠ عام، حيث قال "من المهم احترام التاريخ والثقافة والبيئة".

وقبل ذلك بأكثر من شهر فقط، وخلال مؤتمر العمل الاقتصادي المركزي الذي رسم الخطط الاقتصادية للصين للعام التالي، نبه شي الحاضرين قائلاً "لكي يتمكن المسؤولون من قيادة العمل الاقتصادي بفعالية، لا يكفي أن يمتلكوا معرفة سطحية بعلم الاقتصاد أو بالعلوم، بل يجب عليهم أيضاً دراسة التاريخ، وتعميق فهمهم للتراث الثقافي، وتعزيز وعيمهم بالمفاهيم الإيكولوجية". وخلال جولة استطلاعية ميدانية في الأرياف إلى محافظة شياوبو، تسلم شي، الذي كان يشغل آنذاك منصب أمين لجنة الحزب في ولاية نينغده بمقاطعة فوجيان، السجلات التاريخية للمحافظة من تشن تسنغ قوانغ، الذي كان آنذاك نائب أمين لجنة الحزب في نينغده. وفي تلك الليلة، طلب شي من تشن أن يجد له السجلات التاريخية لولاية فونينغ، وهي الكيان الإداري السابق لنينغده.

فأخذ تشن يتساءل بدهشة "لقد عملنا بلا توقف ونحن مرهقون بالفعل، فكيف لا تزال لديكم الطاقة للسهر ليلاً والقراءة؟"

فأجابه شي "إن تفقد الأوضاع والاستماع إلى التقارير وحدهما لا يكفيان. ينبغي لنا أيضاً التعلم من التاريخ. فتاريخ المحافظة يتجلى على أفضل وجه في سجلاتها المحلية، أما سجلات الولاية فهي أوسع نطاقاً، إذ تتضمن ما هو جدير بالإعجاب وما هو غير ذلك. فهي تظهر لنا ما الذي حدث هنا، ويمكننا أن نستفيد منها الكثير".

في ديسمبر عام ٢٠١٢، وبعد فترة وجيزة من انتخابه أميناً عاماً للجنة الحزب المركزية، أشار شي إلى الحوار الشهير الذي جرى عام ١٩٤٥ بين ماو تسي تونغ وهوانغ يان بي حول كيفية كسر الدورة التاريخية لصعود الحكومات وسقوطها، وهو النقاش الذي عُرف لاحقاً باسم "حوار الكهف السكي".

في الدورة الكاملة السادسة للجنة المركزية التاسعة عشرة للحزب الشيوعي الصيني عام ٢٠٢١، أكد شي مجدداً على أهمية هذا الحوار قائلاً "في الكهف السكي في يانآن، قدم ماو الجواب الأول على هذا السؤال: لا يمكن للحكومة أن تظل جادة ومجتهدة إلا إذا وُضعت تحت رقابة الشعب. وخلال الجهود التي بذلت على مدى القرن الماضي، ولا سيما في المرحلة الجديدة من الممارسة منذ انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب، وجد حزبنا الجواب الثاني على هذا السؤال: وهو إجراء الإصلاح الذاتي".

تشير رؤية شي إلى أن التراث الثقافي يحمل أهمية فريدة.

ففي الزاوية الشمالية من سانفانغتشيشيانغ في مدينة فوتشو، ويعني اسم المكان حرفيا ثلاثة أزقة وسبع حارات، يقع المنزل السابق للين جيويه مين، وهو موقع يخضع اليوم للحماية على المستويين الوطني والبلدي.

في عام ١٩٩١، عندما هددت التنمية الحضرية هذا المبنى التاريخي، تدخل شي، الذي كان آنذاك أمين لجنة الحزب في مدينة فوتشو، حاضرة مقاطعة فوجيان، لوقف هدمه.

قال شي "إن أحد المقاييس الأساسية للحكم على ما إذا كان نظام أو قوة ما تقدمية أم رجعية يكمن في موقفها من التاريخ والثقافة".

وأضاف "كل منطقة تُشكل أبنائها، وتنمية اليوم تنبثق من إرث الأمس"، مؤكدا أن قادة الحزب والحكومات على المستوى المحلي يجب أن يدرسوا تاريخ مناطقهم، وتراثها الثقافي، وشخصياتها البارزة، وأعمالها الأدبية الكلاسيكية.

إن البصمات الثقافية تتغلغل في كل أبعاد فلسفة شي حول الحوكمة.

وتحت قيادة شي، تطور نموذج الحوكمة في الصين، المتجذر في خصائصه وأسلوبه وروحه المميزة، ليصبح نظاما أكثر نضجا وتكاملا.

مصادر الإلهام تدفع الأمة إلى الأمام

إن قناعة شي باستلهام القوة من الثقافة تعود جذورها إلى طفولته. فقد استلهم من القصة الوطنية للبطل الصيني يويه في، الذي قامت والدته برسم وشم على ظهره يحمل عبارة "أخدم الوطن بأقصى درجات الولاء"، فاتخذ شي من هذه العبارة هدفا يسعى إلى تحقيقه طوال حياته.

إن احترام الفضيلة وتكريم كبار السن من القيم الراسخة في الثقافة الصينية منذ زمن قديم، وقد التزم شي بهذه القيم باستمرار على مدى عقود. ومن خلال أفعاله الشخصية، أسهم في ترسيخ مناخ اجتماعي يقدر النزاهة الأخلاقية وحسن المعاملة.

ففي ١٧ نوفمبر عام ٢٠١٧، عند التقاط صورة جماعية مع المشاركين في مراسم تكريم النماذج الوطنية في مجال الأخلاق، دعا شي ممثلين مسنين عن هذه النماذج، وهما هوانغ شيوي هوا وهوانغ دافا، اللذين كان من المفترض أن يقفا خلفه، إلى الجلوس بجانبه في الصف الأمامي.

اعتذر الاثنان في البداية، لكن شي أصدر قائلاً "تفضلاً، يمكننا أن نخصص مكاناً لكما". وفي مايو عام ١٩٩٠، بُعثت رسالة إلى وسائل الإعلام تعبر عن القلق إزاء حماية المنزل السابق للين تسه شيوي وموقع دفنه في مدينة فوتشو.

وفي الشهر التالي، وبعد فترة وجيزة من تولي شي منصب أمين لجنة الحزب في فوتشو، قام بزيارة قاعة لين تسه شيوي التذكارية للاطلاع على أوضاع الحفاظ على المواقع التاريخية. وعلى مدى عدة سنوات متتالية، ترأس اجتماعات خاصة ركزت على ترميم موقع لين الأثري وحمايته.

وفي يونيو عام ١٩٩٥، وخلال مراسم إزاحة الستار عن تمثال برونزي للين، قال شي "نقيم اليوم هذا التمثال البرونزي للين تسه شيوي لنلهم أنفسنا ونعلم الأجيال القادمة، حتى تظل الروح العظيمة للأمة الصينية التي يجسدها لين حية ومتوارثة إلى الأبد".

وفي ٢٥ إبريل عام ٢٠٢١، أثناء زيارته لحديقة تذكارية مخصصة لذكرى معركة نهر شيانغجيانغ التي وقعت خلال المسيرة الطويلة، توقف شي أمام لوحة زيتية تجسد ضابط الجيش الأحمر تشن شو شيانغ الذي توفي عن عمر يناهز ٢٩ عاماً.

وأشار شي إلى أن جنود الجيش الأحمر ظلوا أوفياء لمثلهم وقناعاتهم العليا، ما مكّهم من كسر حصار العدو بتضحيات شجاعة.

في مركز جيوتشيوان لإطلاق الأقمار الاصطناعية، شجع شي الجميع على مواصلة تعزيز روح "قنبلتين وقمر اصطناعي واحد"، وروح برنامج الفضاء الصيني المأهول، وروح دونغفنغ. وخلال كلمته في الذكرى الأربعين لإنشاء منطقة شنتشن الاقتصادية الخاصة في جنوبي الصين، أشار شي إلى أن شنتشن "تمثل لوحة رائعة للاشترابية ذات الخصائص الصينية رُسمت على صفحة بيضاء".

كما قال شي "لا ينبغي أن نكتفي ببناء ناطحات سحاب في جميع أنحاء الصين. بل الأهم من ذلك هو أن نحقق إنجازاً عظيماً يكون مصدر إلهام وقوة للأمة الصينية".

وانطلاقاً من ثقة عميقة بالتاريخ ووعي راسخ بالثقافة، أعاد شي إحياء التقاليد الرفيعة المتمثلة في السعي الدائم إلى تحسين الذات والانفتاح على العالم بالفضيلة، ومنحها حيوية جديدة في العصر الحديث، الأمر الذي أثار شعوراً قوياً بالروح الصينية وأطلق موجة دينامية من قوة الصين.

الثقافة التقليدية الرائعة تنبض بحيوية متجددة

في أحد أيام عام ١٩٨٦، استوقف قونغ جيه، الذي كان آنذاك مدير متحف مدينة شيامن في مقاطعة فوجيان والمسؤول عن ترميم قصر باقوا، شي جين بينغ الذي كان يشغل حينها منصب نائب عمدة شيامن. بينما كان شي يغادر إحدى القاعات بعد إلقاء كلمة حول جزيرة قولانغوي. قال قونغ "السيد نائب العمدة، ندعوكم لزيارة قصر باقوا".

فقبل شي الدعوة على الفور قائلاً "بكل تأكيد!"

شُيد قصر باقوا في عام ١٩٠٧، وهو مبنى تاريخي بارز في جزيرة قولانغوي يجمع بين عدة أنماط معمارية. وفي ذلك الوقت كان المبنى مقسماً إلى عدة أجزاء صغيرة، وأقامت فيه أكثر من عشر عائلات في الطابق السفلي. وكانت الأرضية الخشبية تصدر صريرا كلما سار أحد عليها.

لم يكمل شي جولته حتى التفت إلى قونغ قائلاً "كم ينقصك من المال حتى الآن؟" فأجاب قونغ "٣٠٠ ألف يوان".

فرد عليه شي دون تردد قائلاً "تعال غدا وخذها".

وقد صرح قونغ بأن هذا التمويل ساهم في تغيير مصير المبنى العريق، الذي يعود تاريخه إلى أكثر من قرن، تغييراً كاملاً. وأصبح قصر باقوا عنصراً أساسياً في التراث الثقافي لجزيرة قولانغوي.

يعد شي دائماً من المدافعين الراسخين عن حماية التراث الثقافي. فقد قال "إذا فشلنا في حماية آثارنا التاريخية، فإننا سنخزل الأجيال القادمة بسبب أخطائنا".

في عام ٢٠٠٤، خلال مهرجان الصين السابع للفنون بمقاطعة تشجيانغ، شهد الحفل الافتتاحي لحظة مؤثرة عندما قرع رجل مسن يناهز الثمانين من عمره وطفلة صغيرة جرساً كبيراً على المسرح إيذاناً بافتتاح المهرجان.

من أجل إبراز شعار "مهرجان من أجل الشعب"، اعتمد شي، الذي كان آنذاك أمين لجنة الحزب في مقاطعة تشجيانغ، هذا الافتتاح المميز.

كما أقام صداقات مع كتاب مثل لو ياو وجيا دا شان، وشجع الممثل السينمائي المخضرم نيو بن الذي انضم إلى الحزب الشيوعي الصيني في سن متقدمة، على أن يظل قدوة يُحتذى بها في الفن والسلوك الشخصي، وحفّز فرقة أولان موتشير الفنية لتصبح "فرسان الفن الأحمر" في المروج.

وخلال اجتماع حول الأدب والفن في أكتوبر عام ٢٠١٤، استذكر شي حديث الكاتب وانغ يوان جيان عن تجربة الكاتب ليو تشينغ، الذي أمضى ١٤ عاما في الأرياف ليكتب رواية "بناة حياة جديدة". وتعليقا على ذلك، قال شي إن هناك العديد من النظريات حول الإبداع الفني، لكن الطريقة الأساسية والأكثر موثوقية تكمن في أن يظل المرء على صلة وثيقة بالشعب ويستلهم الإبداع من الحياة.

وخلال جولة تفقدية في مقاطعة تشينغهاي شمال غربي الصين في يونيو عام ٢٠٢١، زار شي شركة «شنغويوان» لصناعة السجاد، وهي شركة متخصصة في صناعة السجاد التبتى. وتوقف شي عندما رأى يانغ يونغ ليانغ، أحد ورثة مهارات حياكة السجاد التبتى، وهو يُعلم تلميذه، وسأله "هل توارثت عائلتكم هذه الحرفة؟ وكم عدد الأجيال التي مارستمها؟" فأجاب يانغ "أنا من الجيل السابع. بدأت تعلم غسل الصوف وغزل الخيوط مع والدي عندما كنت في الثامنة من عمري".

قال شي "هذه الحرفة ثمينة وذات أهمية كبيرة، يجب الحفاظ عليها ومواصلة نقلها إلى الأجيال القادمة". وأكد أن صناعة السجاد التبتى لا تسهم فقط في دعم جهود الحد من الفقر والهوض الريفي، بل تعزز أيضا الوحدة الإثنية.

ودعا شي إلى التحول الإبداعي والتطوير الابتكاري للكنوز الثقافية من أجل "إحياء الثقافة التقليدية الصينية الرائعة بروح العصر".

وخلال جولة تفقدية في سبتمبر عام ٢٠٢١ في مقاطعة شنشي شمال غربي الصين، زار شي قاعة عرض للتراث الثقافي غير المادي المحلي في محافظة سويده، حيث استقبل بعرض حيوي لرقصة يانغقه الشعبية.

وسأل شي "الرقصة رائعة للغاية. هل تلقيتم جميعا تدريباً احترافياً؟" فأجاب أحد المشاركين "بعضنا من ورثة هذا الفن، والبعض الآخر متدربون". وأضاف مشارك آخر قائلاً "كلما رقصنا أكثر شعرنا بمزيد من الحيوية والشباب!"

فرد شي عليهم قائلاً "ممتاز! إن الفنون الشعبية ثروة لا تقدر بثمن للأمة الصينية. يجب علينا حماية هذه الكنوز التي تركها لنا أسلافنا، والعمل على توارثها والاستفادة منها على النحو الأمثل". وفي بكين، شارك شي ذات مرة مع السكان المحليين في إعداد معجنات "جياوتسي" خلال أحد الأعياد التقليدية. وفي إحدى قرى مقاطعة قويتشو، أشاد بحرفي التطريز من قومية مياو قائلاً

إن "كنوز القوميات تتمتع بجاذبية عالمية". وفي قرية يقطنها أهالي من قومية لي في مقاطعة هاينان، أعرب عن إعجابه بالحرف التراثية مثل نسيج لي التقليدي وحياسة الروطان، وتبادل الحديث مع السكان المحليين حول آفاق التنمية المستقبلية.

كما دعا شي إلى بذل جهود لجمع وترتيب الموارد الثقافية للأمة الصينية بشكل منهجي، وإحياء الآثار الكامنة في القصور المغلقة، والتراث المنتشر في ربوع الصين الواسعة، والسجلات المحفوظة في الكتب القديمة.

وتحت قيادة لجنة الحزب المركزية ونواتها الرفيق شي جين بينغ، تمضي الصين بثبات وعزم على طريقها الخاص، المتميز بتراث تاريخي عريق.